

ع.ع. محمد

يهنئك بـ

عودة

بابا



عودة بابا

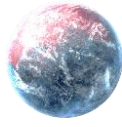
عودة بابا

عبد الهادي عاصم محمد

٢٠٢٤

نشر إلكتروني / قصة قصيرة

عودة بابا



رفع (إياد) ذو التسعة أعوام عينيه عن دفتر الرسم أمامه، وترك قلم التلوين، ثم صاح:

- "ماما! هل سنأكل الآن؟"

جاء صوت الأم من غرفة النوم:

- "علينا أن ننتظر بابا!"

- "ومتى سيعود؟"

- "لقد اتصل منذ ربع ساعة وقال أنه في الطريق"

- "إنه يقول هذا كل يوم ويتأخر، وعلينا أن..."

قاطعته صارخة:

- "قلت لك سنأكل عندما يحضر، لماذا أنت كثير الكلام هكذا؟ افتح التلفاز أو

افعل أي شيء..."

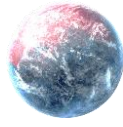
مرت نصف ساعة، وأخيرا سمع (إياد) صوت الباب يفتح. دخل الأب إلى المنزل وعلى

وجهه علامات الغضب. ألقى حقيبته على الكنبه بجوار ابنه، وصاح على زوجته:

- "هل الطعام جاهز؟"

أجابته من الداخل:

- "سأُحضِرُهُ حالا، فقط غيرِ ملابسك وسيكون..."



قاطعها بغضب:

- "ولماذا لم تحضريه حتى الآن؟ أخبرتك أنني سأكون في البيت بعد نصف ساعة؛

كل يوم نفس التصرفات الغبية؛ لا شيء جاهز ولا..."

التفت إلى (إياد) وصاح به وهو يشير إلى التلفاز:

- "وأنت يا متخلف، ألم تكبر على مشاهدة توم وجيري وتلك التفاهات؟"

- "إنه مسلسل العم جدو وهذا بيتزا س..."

سحب الريموت من بين يديه وهو يغمغم:

- "بلا جدو بلا تفاهات؛ العالم أصبح غابة والكل يأكل بعضه وأنت تشاهد القط

والفأر"

ضغط على أزرار الريموت مغيّرا القناة، ثم ألقى به على الطاولة وهو يصيح على زوجته

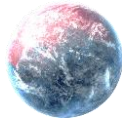
من جديد:

- "أنا ذاهب للاستحمام وأرجو من جلالتك أن يكون الطعام جاهزا عند خروجي"

أطلت الأم من الغرفة وهي تسير ببطء وتضع يدها خلف ظهرها دافعة أمامها بطنها

المنفوخ. وقعت عيناها على دفتر الرسومات وأقلام التلوين، فصرخت:

- "يا زفت، أبعث تلك الأشياء وإلا سألقيها في القمامة أو أحرقها..."



تابعت طريقها إلى المطبخ وهي تتمتم:

- "يا رب! لماذا عليّ أن أفعل كل شيء؟ ألا يمكنني أن أرتاح ولو يومًا واحدًا؟!"

اقترب الأب من الطاولة وهو يتفقد أطباق الطعام باشمزاز. تجاهلت الأم نظراته ودفعت لابنها طبق الأرز. جلس الرجل وهو يدفع كرشه الذي لا يتناسب مع عمره مقتربا من الطاولة وقال بتهكم:

- "أرز وخبز وبطاطس... لا عجب أنكِ صرت في حجم الدرفيل"

صاحت بغیظ:

- "أنا حبلی ووجب أن أتغذى جيدا، إذا لم يعجبك الطعام فلا تأكل"

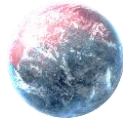
التف (إياد) بوجهه إلى التلفاز.

كان مذيع برنامج الأخبار يجلس مع رجل له شعر أبيض كثيف ويضع نظارات كبيرة. قال المذيع:

- "إذا يا دكتور أنيس أنت تقترح أن تلك الترددات الغريبة مصدرها حركة القمر أو

اقتراب النيازك مثلا؟"

عدل الرجل نظارته وقال:



- "لا، بل الكواكب نفسها؛ قد تكون تلك الكواكب من مجموعتنا الشمسية أو من مكان آخر في الفضاء الخارجي"

- "يعني... لكن لم تلحظ أي من المراصد اضطراب في حركة الكواكب القريبة..."

قاطعته الدكتور:

- "أنا لا أقصد تحرك الكواكب نفسها، بل مبعوثات من تلك الكواكب"

بدت الحيرة على وجه المذيع ثم قال:

- "وما هي تلك المبعوثات؟ صخور مثلاً؟!"

اعتدل الدكتور في جلسته ثم قال وهو يتبسم:

- "إنها حملات استكشافية؛ كتلك الحملات التي نرسلها نحن إلى سطح القمر

والكواكب الأخرى..."

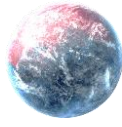
- "أتعني أقمار صناعية أو سفن فضائية تم إرسالها مسبقاً؟"

- "نعم ولا؛ إنها سفن فضائية ولكنها ليست من كوكبنا بل أرسلها سكان الكواكب

الأخرى"

رسم المذيع ابتسامة على وجهه ظنا منه أن الدكتور يمزح، لكنّ هذا الأخير واصل كلامه

وهو يشير إلى لوحة كبيرة بجانبه عليها أرقام ورسومات بيانية:



- "وهذا هو التفسير الوحيد لتلك الاضطرابات والهزات الأرضية التي وقعت في

أماكن مختلفة طوال الأسبوع الماضي"

أفلتت من المديعة ضحكة ثم قال:

- "التفسير الوحيد هو الكائنات الفضائية؟"

هز الدكتور رأسه إيجابا، فأكد المذيع وهو يضحك:

- "يعني سوبرمان وباتمان كانا يتشاجران..."

صاح (إياد) بغضب:

- "باتمان ليس فضائيا إنه..."

التفت إلى أبيه وأمه، فوجدهما لا يزالا يتشاجران. قالت الأم:

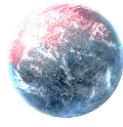
- "ولماذا لا تعترض على تأخيرك لهذا الوقت كل يوم؟"

هز الأب رأسه مستهزئا:

- "يا سلام! أعترض فيقومون بطردي ولا نجد من يطعمنا"

- "تُطرد لأنك اعترضت على العمل لساعات إضافية بلا مقابل؟"

أجاب وهو يلتقط آخر قطعة لحم في الطبق بأصابعه:



- "إنه قطاع خاص؛ أنت لا تشعرين بشيء مما يدور في الخارج؛ طوال اليوم في المنزل تأكلين وتشربين..."

التفت (إياد) إلى التلفاز من جديد. كان الدكتور لا يزال يحاول إثبات نظريته عبر الخرائط والمخطوطات الكثيرة التي أصبحت تملأ المكان من حوله. واصل كلامه وسط ضحكات العاملين بالاستديو:

- "... وهذه ليست المرة الأولى؛ لقد حدث منذ ستة أشهر بدول مثل المجر وباكستان؛ تم الإعلان عن الكثير من حالات الاختفاء، وفجأة عادوا جميعاً كأن شيئاً لم يكن..."

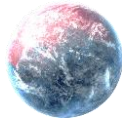
قال المذيع ساخراً:

- "وبالطبع حالات الاختفاء تلك سببها الفضائيون!"

- "نعم، كما قلت منذ قليل؛ إنهم في رحلة استكشافية، لذا يأخذون عينات للفحص، ثم يقومون باستبدالها..."

سكت لحظات، ثم واصل:

- "دعني أبسط لك الأمر، فلنفترض أنك تقوم بتجربة في بيئة طبيعية... على حيوانات الغابة مثلاً، وترغب بالتعرف على سلوك تلك الحيوانات في بيئتها



الطبيعية دون أن تلفت نظرها أنك تقوم بتصويرها وتدوين الملاحظات... ماذا ستفعل؟"

قال المذيع بوجه جاد:

- "سأشتري مركبا فضائيا!"

ثم انفجر بالضحك. تجاهله الدكتور، ثم التفت بوجهه إلى الكاميرا وقال:

- "سنقوم بتخدير بعضا من تلك الحيوانات ونزرع بها كاميرات للتسجيل ثم نُعدها

من جديد إلى البيئة لتصبح هي نفسها ال... ما أحاول قوله أنهم يرغبون بمراقبتنا

والاختلاط معنا دون أن نعرف، فلا بد أنهم يقومون باختطاف بعضا من البشر،

ويقوموا بوضع عملاء متنكرون في هيئة بشرية ليعيشوا بيننا..."

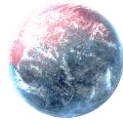
توقف المذيع عن الضحك وقال:

- "عملاء؟ إذاً ليس سوبرمان كما تصورت بل هو جيمس بوند"

قال الدكتور وهو ينظر مباشرة إلى عدسة الكاميرا:

- "إذا كان لدى أي من المواطنين معلومات قد تساعدني في هذا الاكتشاف فليتصل

برقمي مباشرة..."



جمع الدكتور لفافاته وغادر المكان وهو يسب ويلعن. عدل المذيع رابطة عنقه وقال وهو
يمسح عينيه من دموع الضحك:

- "بعد الفاصل سيقوم مراسلنا بمحاولة استيضاح سبب النقص الملحوظ للقهوة من

السوق خلال الفترة الماضية وأيضا..."

قال الأب وهو يمسك بالريموت ويغير القناة:

- "ما هذا؟ برنامج يتكلم عن القهوة؟"

قالت الأم:

- "أنا أعشق القهوة!"

- "لا أعرف لماذا يشرب الناس شيئا بتلك المرارة؟ ورائحتها أيضا كأن بداخلها شيئا

يحترق..."

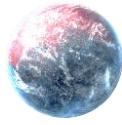
أشار إلى دفتر الرسم أمام (إياد) وقال:

- "أبعد هذا عن مائدة الطعام؟ ترسم طوال الوقت؟ هل ستصبح مهندسا برسومات

الأطفال تلك؟ لماذا لا تذاكر؟!"

- "إنها إجازة منتصف العام"

التفت إلى زوجته التي كانت ترفع الأطباق عن المائدة وقال متهكما:



- "كل يوم إجازات، وبعد التخرج يُفاجأ الموظف أنه استنفذ رصيده من الإجازات وهو طالب ولن يحصل على الراحة من جديد"

في مساء اليوم التالي توجه (إياد) إلى غرفة النوم الكبيرة حيث تجلس أمه على الفراش.
قال بهدوء:

- "هل يمكنني أن آكل وحدي الليلة؟"

- "لماذا؟"

سكت للحظة ثم قال:

- "فقط أريد أن آكل بمفردي"

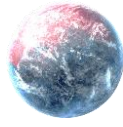
- "هل تشعر بالضيق عندما تأكل معنا؟"

تردد قليلاً، ثم هز رأسه إيجاباً. مدت يدها إليه وسحبته إلى جوارها ثم قالت وهي تربت على رأسه:

- "أعرف أنني غاضبة طوال الوقت في الفترة الأخيرة، ولكن هذا لأنني حبلي بأختك الصغرى..."

- "لست متضايقاً منك ولكن..."

- "تقصد بابا؟!!"



هز رأسه بهدوء. تنهدت قليلا، ثم قالت:

- "أتعرف يا إياد؟ بابا لم يكن دائما هكذا، حين كنت أنت صغيرا كان لطيفا ودائما يبتسم؛ وكان يساعدني في شغل البيت؛ ونشاهد التلفاز معا، حتى أنه كان دائما يناديني بحبيبتى... لكن الأمور تتغير، وهو في العمل طوال اليوم وهناك الكثير من المشكلات"

- "أتمنى أن يعود كما كان!"

- "وأنا أيضا أتمنى أن يعود!"

نظرت في عينيه الواسعتين، ثم قالت:

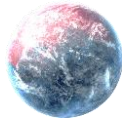
- "لكننا بالفعل سنتعشى بمفردنا الليلة، فبابا لديه عمل بمنطقة الاتحاد الشرقية... هل تعرفها؟"

- "لا!"

قالت وهي تخرج من الفراش لتعد الطعام:

- "معقول؟! كيف لا تعرفها؟ إنها عند... هل تصدق؟ أنا أيضا لا أعرفها!"

ضحك (إياد) وبدأ يقفز من حولها.



لم يعد الأب في تلك الليلة. شعر (إياد) أن أمه قلقة لكنها لا ترغب بإظهار الأمر أمامه.

في اليوم التالي اتصلت بمقر العمل، فأخبروها أن جميع الموظفين غادروا المنطقة في تمام التاسعة مساء أمس. مر اليوم الثاني ولم يظهر، وحتى هاتفه خارج نطاق الخدمة. قررت أن تبلغ الشرطة. ارتدت ملابس الخروج وأمرت (إياد) ألا يغادر المنزل وألا يفتح الباب لأي شخص. قبل أن تخرج، فُتح الباب وظهر الأب أمامها. صاحت به:

- "أين كنت؟ لقد قلقتنا عليك، ولا ترد على الهاتف و..."

احتضنها وقال:

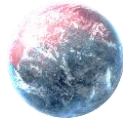
- "لن تصدقي ما حدث لي بعد أن غادرت العمل؛ افترقنا في تمام التاسعة واستقل كل واحد سيارته أو سيارة صديقه وابتعدوا، وبقيت وحدي أبحث عن سيارة أجرة تعديني إلى البيت، وركبت بالخطأ سيارة كانت متجهة لمرسى مطروح"

- "ماذا؟ ولماذا لم تتصل؟!"

- "لقد أضعت الهاتف، يبدو أنه وقع مني!"

تفحصته بشك ثم قالت:

- "وربما نسيته عندها"



- "من؟ تقصدين الفتاة الأخرى؟ لا، إنها منظمة جدا، ودوما تذكرني أن آخذ أشياءي قبل أن أغادر"

قالت بدلال:

- "والله؟!"

احتضنها هي و(إياد) وهو يضحك بمرح. مد إليها كيسا بنيا كبيرا وقال:

- "لقد أحضرت بعض البن المطحون"

قالت بشك:

- "بُنّ؟ أنت تتصرف بغرابة اليوم!"

تنهد وهو يلقي بنفسه على الكنبه:

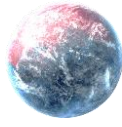
- "لقد جعلني ما مررت به أفكر في الأمور من منظورٍ مختلف، وأعتقد أنه عليّ أن أغير من نفسي قليلاً"

- "وكيف ذلك؟"

- "سترين بنفسك... هل هناك عشاء الليلة؟"

- "لم أطبخ شيئا طوال اليوم، فقد كنا مشغولين بالبحث عنك"

- "إذا فلنطلب بيتزا"



تهلل وجهه (إياد). قال الأب وهو يقوم من مكانه:

- "أو أفضل من هذا، لما لا نتناول الطعام بالخارج الليلة؟ ولكن عليّ أن أستحم وأغير ملابسي أولاً"
- "سأذهب لأرتدي ملابس مناسبة أنا وإياد"
- "نعم، وهل يمكن أن تعدي لي كوباً من القهوة؟"
- "هل حقاً ترغب بشرب القهوة؟!"
- "إلا إذا كنت لا تحبينها، فسأعدها لنفسي لاحقاً"
- "أنا؟ تعرف أنني أعشق القهوة"
- "آه، نعم، بالتأكيد أعرف!"

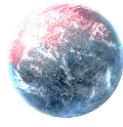
نظر إليه (إياد) بشك.

دخل (إياد) المنزل وتبعه أبوه. قال الأب وهو يغلق الباب:

- "أخبرتكَ أن الصلاة في المسجد ممتعة أكثر من الصلاة في البيت، كما أن ثوابها أكبر"

اتخذ (إياد) موضعه أمام التلفاز بجانب أمه، بينما يجهز الأب المائدة للعشاء. قالت الأم:

- "لا أعرف كيف تمكنت من العودة للبيت مبكراً اليوم!"



- "ليس اليوم فقط، بل كل يوم؛ لقد تحدثت مع المدير العام بشأن التأخير كل ليلة، واتضح أنه لم يكن يعلم أن رئيس القسم يقوم بهذا، فأصدر قرارًا أن أي موظف يتأخر في العمل يجب أن يحصل على أجر إضافي ويكون الأمر بموافقتي؛ إنه رجل جيد"

انتهى العشاء ودخلت الأم حجرتها. سألت الأب (إياد) وهو يشير إلى التلفاز:

- "ما هذا الذي تشاهد؟"

قال (إياد) وعلى وجهه علامات الخوف:

- "إنه مسلسل العم جدو!"

- "وما هذا الشيء المثلث؟"

أجاب بمرح:

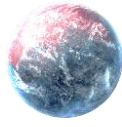
- "إنه بيتزا ستيف، وهو شخصيتي المفضلة"

- "جميل! وكم عدد زوايا البيتزا ستيف؟"

- "ثلاثة!"

أخذ رشفة أخيرة من فنجان القهوة الثالث في تلك الليلة ثم وضعه أمامه على الطاولة

وقال:



- "ممتاز! وكم عدد أضلاعه؟"

- "ثلاثة، ومجموع الزوايا مائة وثمانون، لأنه مثلث"

احتضنه الأب وقال بمرح:

- "يبدو أننا نعيش مع مهندس ونحن لا ندرك"

في اليوم التالي، توجه (إياد) إلى غرفة أمه. وقف أمامها للحظات ثم بدأ بالتكلم:

- "ماما، هل لاحظت شيئا مختلفا بابابا؟"

فكرت للحظات ثم قالت:

- "نعم، منذ أخبرنا أنه قرر التغيير وحاله تغير بالفعل؛ كأنه أصبح شخصا آخر"

مرت لحظة صمت، وقبل أن يتكلم، قالت هي:

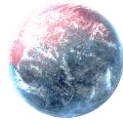
- "لقد أصبح أفضل بكثير"

هز رأسه في صمت ثم غادر الغرفة متجها إلى الهاتف. رفع السماعة وبدأ بطلب الرقم

المكتوب أمامه في دفتر الرسم. أجاب صوت غاضب من الطرف الآخر:

- "ماذا الآن؟"

سأل (إياد):



- "هل أنت الدكتور الذي كان في التلفاز؟"
- "نعم، أنا دكتور أنيس طه، ويجب أن تتوقفوا عن المضايقات، وإلا سأبلغ الشرطة؛ لقد قلت أنها مجرد نظرية..."

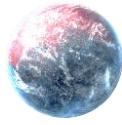
قاطعته (إياد):

- "هل الأشخاص الذين استبدلهم الفضائيون يصبحون أفضل؟"
- ساد الصمت للحظة ثم قال الدكتور بجدية:
- "ربما، إذا... إذا كانت لديهم نفس المعلومات كالأشخاص الذين اتخذوا أماكنهم وقد تكون عقولهم... أقدر على تحليل الأمور والتنظيم، بالتالي هذا قد يؤثر على سلوكهم وأدائهم..."
- سأل (إياد) وهو يتلع ريقه:

- "هل... هل هم يحبون القهوة؟"

قال الدكتور بغيظ:

- "هل هذه مكالمة ساخرة أخرى؟"
- "لا، هل الفضائيون يحبون القهوة؟"



- "هناك... لست متأكدا من هذا... ولكن قد يكون هناك... بالتأكيد هناك
اختلاف بين الكواكب من حيث الضغط ومقدار الهواء... ربما القهوة قد
تساعد على التكيف أو... لست متأكدا من هذا الأمر... لكن لماذا تسأل تلك
الأسئلة؟"

تردد (إياد) للحظة، ثم قال:

- "أعتقد أنني أعرف فضائيا"

في اليوم التالي كان الأب يجلس مع زوجته و(إياد) يجلس أمام التلفاز وعيناه معلقتان
بالباب. قالت الأم وهي تسند رأسها إلى كتف زوجها:

- "أنا أشعر بالسعادة! لا أعرف لماذا، لكنني سعيدة"

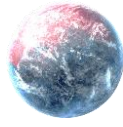
أجاب الأب:

- "وأنا أيضا!"

أشار إلى بطنها المنتفخ، ثم أردف:

- "الشهر السادس، صحيح؟"

هزت رأسها موافقة ثم قالت:



- "بماذا نسميها؟"

- "فلنترك الأمر لإياد"

التفت إلى ابنه، وسأل:

- "ما رأيك؟"

انتبه (إياد)، ثم هز كتفيه وقال:

- "لا أعرف!"

فجأة رن الجرس. قفز (إياد) إلى الباب. كان الدكتور (أنيس) ومعه المذيع من البرنامج

يضحك. سأل الدكتور:

- "هل أنت إياد الذي كلمني على الهاتف؟"

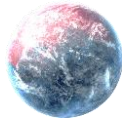
جاء صوت الأب من الداخل:

- "من بالباب، يا إياد؟"

تجاهله (إياد) وسأل الدكتور:

- "ماذا سيحدث عندما تجد فضائيا؟"

قال الدكتور بسرعة:



- "سأضعه تحت جهاز خاص، وأعرف كامل المعلومات التي في رأسه"

- "وماذا عن الشخص الأصلي؟ هل س... هل سيعود؟!"

تعالت ضحكات المذيع، وهز الدكتور رأسه ثم قال:

- "بالتأكيد سنتمكن من العثور عليه ونسترده، ثم يعود الوضع كما كان!"

وضع الأب يده على كتف (إياد) من الخلف، وسأل وهو يتفحص الرجلين أمام الباب:

- "ما الأمر؟"

نظر إياد إلى الرجل الواقف خلفه مطولاً ثم نظر في عينيّ الدكتور وقبل أن يتكلم، سألت

الأم من الداخل:

- "ما الأمر؟ هل هناك شيء يحدث؟!"

أشار لها الرجل مطمئناً وقال:

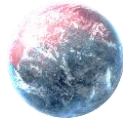
- "اطمئني، يا حبيبي، فأنا موجود!"

التفت (إياد) إلى أمه، فوجدها تبسم باطمئنان وهي تعود إلى حجرتها. نظر إليه الثلاثة

رجال بانتظار تبديد غرابة الموقف. أغمض (إياد) عينيه ثم قال:

- "لقد اتصلت بالدكتور أنيس، لأعرف منه بعض المعلومات؛ من أجل بحث أكتبه

للمدرسة"



ابتسم الأب وقال:

- "إذا فليتفضل بالدخول!"

- "لا، لقد انتهينا تقريبًا"

صرخ الدكتور بينما يعود الأب للدخل:

- "ألم تخبرني أنك تعرف فضائيا؟!"

- "لا، أنا فقط كنت أسألك فقد أقابل فضائيا يوماً ما"

استدار الدكتور مغادراً وهو يندب حظه ويحاول تفادي سخرية المذيع اللاذعة. صاح

المذيع وهو يضحك:

- "انتظر، يا دكتور، نريدك أن تظهر معنا في حلقة أخرى، فقد أصبحت ترينداً"

فكر (إياد) قليلاً، ثم لحق بالمذيع قبل أن يغادر. قال:

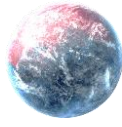
- "عمو، لقد سمعت عن خبر لم يصل إليه أحد حتى الآن؟"

- "عن الفضائيين أيضاً"

- "لا، لا يوجد شيء اسمه فضائيين، بل هو خبر مثير"

قال المذيع وقد تحولت ملامحه إلى الجذ:

- "وكيف يمكنني الحصول على هذا الخبر؟"



- "هل تعرف منطقة الاتحاد الشرقية؟ تأكد أن تذهب إليها وحدك في تمام التاسعة مساءً"

- "هل أنت متأكد؟"

- "تمام التأكد، سيصبح برنامجك أفضل بكثير بعدما تذهب إلى هناك"

عاد (إياد) إلى الداخل، فوجد أبيه وأمه يتحدثان حول اسم المولودة الجديدة. قال (إياد) وهو يطالع أبيه:

- "لماذا لا نسمها كوكب؟"

هزت الأم رأسها وقالت مفكرة:

- "ليس اسما سيئا!"

لمعت عينا الأب وقال:

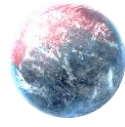
- "ولماذا هذا الاسم الغريب؟"

قال (إياد) وهو ينظر مباشرة في عيني أبيه:

- "حتى يذكرنا أن هناك مكاناً بعيداً يذهب إليه كل من يسيء التصرف!"

هز الأب رأسه وقال:

- "حسناً، فلنبق الأمر كذلك حتى إشعارٍ آخر!"



صدر للكاتب

- مليونير لفترة محدودة (شوكولاتة بالبندق)
- الأنسة فوزية
- ملك مملكة البسلة
- عملية نقل عقل
- حلا وغطاها
- دار نشط عصير القصب
- راس في الطين (عن قصة راسبوتين)
- كوخ الأساطير
- الوقوع في الحب
- بنسيون الخفافيش
- ذئب وحفنة ذئاب
- هل تعرف أم النحس
- اللعنة والفراعنة